بقلم الدكتور :
محمد بن سعد الشويعر

ابن ضويان وآثاره

١٢٧٥ ـ ١٣٥٣ ه

١٨٥٨ ـ ١٩٣٤ ه

علم من أعلام نجد ، لم يحظ بدراسة كاملة لحياته ، ولم يقدر لمجهوداته العلميـة أن تظهر في المكتبـة العربية ، اللهم الا كتابه : منار السبيل في شرح الدليل ، وهو كتـاب فقهي على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وقد طبعته الحكومة القطرية على نفقة الشيخ قاسم بن دوريش فخر والذي أوقفه على طلبة العلم، ثم طبع مرتين غير هذه الطبعة .

يعتبر الشيخ حمد الجاسر اول من تحدث عن ابن ضويان ، والقى ضوءا كاشفا على حياته ، وعلى تاريخه في مجلـة اليمامة

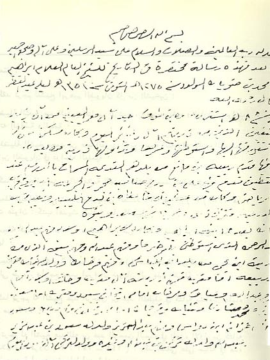

بسم الله الرحمن الرحيم

دلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه

بعد فهذه رسالة مختصرة في التاريخ للشيخ العالم العلامة ابراهيم

محمد بن ضويان المولود سنة ١٢٧٥ المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ ليلة عيد الفطر

الصفحة الأولى من مرونة ابن ضويان التاريخية

عام ١٣٨٠ هـ ، ثم في مجلة الثانية العرب التي رسمت لنفسها منهجا معينا في البحث ، وابراز الناحية التاريخية والعلمية للجزيرة ٠٠ ج١٠ مجلد ٥ ٠

ذلك العلم هو الشيخ ابرهيم بن محمد بن سالم الضويان المتوفي بمدينة الرس بالقصيم عام ١٣٥٣ هـ ليلة عيد الفطر ٠

وللشيخ ابرهيم عدة مؤلفات طبع واحد منها ٠٠ وبقي ثلاثة لا تزال مخطوطة ، سنحاول اعطاء القارىء لمحة عنها بعد استعراض حياته ٠

مصادر ترجمته :

١ ـ لقد ترجم للشيخ ابرهيم الضويان كل من الشيخين :

أ ـ فضيلة الشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد ، وهو من بلده والعارفين جوانب مهمة في حياته الخاصة والعامة ·

ب ـ فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع رحمه الله وقد كان والده ممن استفاد منه ابن الضويان في دراسته العلمية ·

٢ ـ كما الم بجانب من حياته علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر في :

أ ـ مجلة اليمامة التي تصدر بالرياض العدد ٢٦٩ في ١٣٨٠/١٠/٢٣ هـ ، ص ٩ ، تحت عنوان : كتب أهديت الينا : منار السبيل ·

ب ـ مجلة العرب ، جـ١٠ ، مجلد ٥ ، ص ٨٩٣ ، ضمن موضوع : مؤرخو نجد من أهلها ·

جـ ـ مجلة العرب جـ٥ ، ٦ السنة ١٢ ص ٤١٨ عند حديثه عن قبيلة بني صخر التي ترجع الى طيء ، وأرجع نسب أسرة آل ضويان الى هذه القبيلة ·

٣ ـ كما ترجم له الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف في كتابه مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٢٢٢ ·

٤ ـ وترجم له الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام في الجزء الاول من كتابه علماء نجد خلال ستة قرون [١ : ١٤١ ـ ١٤٤] ، وقد أضفى على حياته في هذه الترجمة جوانب مهمة لم يتعرض لها أحد قبله ·

٥ ـ وأعطى معلومات عنه ونبذة عن مؤلفاته الأستاذ عمر عبد الجبار في كتابه : سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة ·· حياتهم ونماذج من تدريسهم في المسجد الحرام ص ٢٥ رغم أنه لم يقل أحد عن الشيخ ابرهيم بانه درس في المسجد الحرام ·

نسبه واخلاقه :

هو الشيخ ابرهيم بن محمد بن سالم بن ضويان ، ينتهي نسبه الى قبيلة آل زهير ، المنتسبة الى قبيلة بني صخر التي وصفها الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد

بالشهرة [منار السبيل جـ١ ص جـ المقدمة] ولكن عبد الرحمن بن عبد اللطيف يثير التساؤل عما اذا كانت عدنانية أو قحطانية ، لأنه يتسمى ببني صخر عدة قبائل [من مشاهير علماء نجد ص ٢٢٢ الحاشية] .

لكن الشيخ عبدالله البسام يعيد بني صخر الى جذام اعتمادا على قول الحمداني ـ فيما يبدو ـ عندما قال في ترجمة حياته : « من آل زهير ، وهم بطن كبير من قبيلة بني صخر ، وهي قبيلة من شعب جذام ابن عمرو بن مالك ، بن عدي ، بن الحارث ، بن مرة ، بن ادريس ، بن زيد ، بن كهلان ، بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان [علماء نجد ـ ١ : ١٤١] » .

لكن الشيخ حمد الجاسر كعادته في بحثه المستقصي أزال لبسا قائما عندما أوضح بأن قبيلة آزهير ترجع الى طيء ، وأوضح منازلها والبيوتات التي تنتمي اليها في نجد ، ومنها أسرة ابن ضويان ، وأبان خطأ من قال : بأن بني صخر ينتسبون الى جذام ، اذ رد هذا الى ما وقع فيه الحمداني ، ثم نقله عنه فيما بعد كل من ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار والقلقشندي (٧٥٦ ـ ٨٢١ هـ) في نهاية الأرب ، والسويدي (٠٠٠ ـ ١٢٤٦ هـ) في سبائك الذهب . [العرب جـ٥ ، ٦ السنة ١٢ ص ٤١٥ ـ ٤١٨] .

ولد المترجم له في مدينة الرس بالقصيم عام ١٢٧٥ هـ ـ ١٨٥٨ م ، وفيها نشأ وتعلم ، ولم يعرف عنه السفر لطلب العلم الا لمدن القصيم المجاورة لمقر اقامته .. فقد كان كثير التردد على عنيزة التي تزخر بالعلماء في عهده ، كما طلب العلم فترة من الزمن في بريده .

ولم يعرف من أسرته من كان طالب علم ، بل كان والده أميا لا يجيد القراءة والكتابة ، يعمل مؤذنا بأحد مساجد الرس .. لكن الشيخ عبدالله البسام ينسب ما جاء في صحيفة ٣٠٨ من شرح ابن ضويان على الدليل : « وكذا الميتة حتى الجلد ولو قلنا بطهارته في الدباغ ، أفاده والدي أمتع الله به آمين » من باب التوقع الى ابن الشيخ الضويان عبدالله الذي عرف بأنه طالب علم جيد [علماء نجد ١ : ١٤١] .

كان عالما فقيها ، كما يبين ذلك من مؤلفاته ، ومن العارفين لمكانته ، المدركين منزلته ، بل كان من كبار علماء القصيم ، كما كان مرجعا للفتوى في بلده لجميع الطبقات ، لما يمتاز به من دماثة خلق ، وسهولة جانب ، وتواضع جم ، خصال هي أخلاق العلماء العاملين ، وسجايا الفاهمين المدركين لمنزلة العلم ومسئوليته ، وأمانة حمله ، أمام الله ، وتأدية واجبه لعباد الله ، ذلك أن حامل العلم يجب أن يبذله

ليرشد الناس ويبين لهم مما علمه الله ليخرج نفسه من مسئوليات كتمانه ، والوعيد الشديد في ذلك « من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » [جامع الأصول ٩ : ١٠] .

فكان ابن ضويان ممن يبذل نفسه وعلمه وجهده للآخرين ، يفتي عندما يسأل ، ويقضي بين الناس في غياب قاضي الرس أستاذه الشيخ صالح بن قرناس ، ويكتب الوثائق الشرعية في بلده ، ولا يطلب على هذه الأعمال أجرا الا من الله . أما مستوى معيشته فكان من متوسطي الحال ومورده المالي من البيع والشراء .

ـ وكان حافظا للشعر العربي ، علاوة على اجادته له ، وله فيه باع طويل .

ـ كما كان عالما بالأنساب وألف في ذلك كتابا ، أصبح في حكم المفقود .

ـ وله المام بالتاريخ كما سنشير الى ذلك في استعراض محاولته التاريخية .

ـ كما أن له خبرة واسعة في طبقات الرجال من الحنابلة ، وقد ضمن هذا كتابه المخطوط رفع النقاب عن تراجم الأصحاب .

ـ والى جانب ذلك كان له شهرة بجودة الخط وحسنه والسرعة في الكتابة ، حتى أنه كان ينسخ الكتب بحضور الآخرين ، وهم يتحدثون لا يشغله عن ذلك شاغل .

ـ وقد وصفه ناسخ كتابه : رفع النقاب عن تراجم الأصحاب عندما قال في الطرة بأنه : اللوذعي العلامة في الفقه والتاريخ والنحو واللغة ، الا أن الشيخ عبدالله بن بسام ينقل عن تلميذه الشيخ محمد بن عبد العزيز الرشيد قوله : « ان شيخي ابرهيم الضويان من الفقهاء الكبار ، وله اطلاع واسع في الفقه ، أما باقي العلوم لا سيما علوم العربية فله مشاركة فيها ، ولكنها ليست جيدة » [علماء نجد ١ : ١٤١] .

أما بعده عن القضاء مع سعة علمه ،وورعه وعفته ، ودماثة أخلاقه ، مع أن شيخه صالح بن قرناس ينيبه على قضاء الرس عندما يتغيب فقد علله الشيخ عبدالله ابن بسام بأنه لم يكن مواليا لآل سليم أشهر علماء القصيم في ذلك الوقت ، وهم أهل المشورة في مثل هذه المناصب في القصيم [علماء نجد ١ : ١٤٢] .

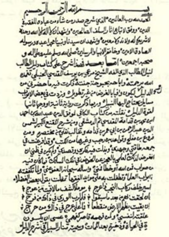

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الذي شرح صدر من شاء من عباده للتفقه في
الدين ووفق لاتباع آثار السلف الصالحين واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له ولا ند ولا معين واشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله
الصادق الامين وخاتم الانبيا والمرسلين صلى الله وسلم عليه وعلى آله و
صحبه اجمعين اما بعد فهذا شرح على كتاب دليل الطالب
لنيل المطالب الذي الفه الشيخ مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي تغمده
الله برحمته واباحه بحبوحة جنته ذكرت فيه ما حضرني من
الدليل ليكون وافيا بالغرض من غير تطويل وزدت في بعض الابواب
مسايل يحتاج اليها النبيل وربما ذكرت رواية ثانية او وجها ثانيا
لقوة الدليل نقلته من كتاب الكافي لموفق الدين عبد الله بن احمد
ابن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي ومن شرح المقنع الكبير لشمس
الدين عبد الرحمن بن ابي عمر بن قدامة وغالب نقلي من مختصره ومن
فروع ابن مفلح وقواعد ابن رجب وغيرها من الكتب وقد افرغت في
جمعه طاقتي وجهدي وبذلت فيه فكري وقصدي ولم يكن في ظني ان
اتعرض لذلك لعلمي بالعجز عن الخوض في تلك المسالك فما كان فيه
من صواب فمن الله او خطا فمني واساله سبحانه العفو عني ولما تكلفته
ارباب العلما وتطفلت به على موايد الفقها تمثلت بقول بعض الفضلاء
اسير خلف ركاب النجب ذا عرج ÷ مؤملا كشف ما لاقيت من عوج ÷
فان لحقت بهم من بعد ما سبقوا ÷ فكم لرب الورى في ذاك من فرج ÷
وان بقيت بظهر الارض منقطعا ÷ فما على عرج في ذاك من حرج ÷
علقته لنفسي ولمن فهمه قاصر كفهمي عسى ان يكون
ة في الحياة وذخيرة بعد الممات وسميته منار السبيل في شرح الدليل

نموذج من خط ابن ضويان في كتابه شرح الدليل

وفـــاته :

توفي ابن ضويان رحمه الله بعد أن كف بصره في عام ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م في ليلة عيد الفطر فجأة ، عن عمر يبلغ ٧٨ عاما قضاها في رحاب العلم مؤلفا ومعلما ، وباحثا ، وباذلا نفسه وجهده لمساعدة الآخرين في الفتوى والكتابة •

ولوفاته قصة يتناقلها أبناء بلده ، مفادها أنه كان مدعوا ليلة عيد الفطر عند أحد معارفه وكان تلميذه الشيخ محمد الرشيد يلقي درسا على تلاميذه موضوعه موت الفجاة ، فلما خرجوا من المسجد حيث كان القاء الدرس ذهبوا لتلبية الدعوة ليانسوا بالحديث مع الشيخ ابرهيم الضويان ، وما أن استقر به المقام في مجلس الداعي حتى توفي الشيخ ابرهيم فجأة •• فكان هذا من المصادفات العجيبة •

وقد ذكر الشيخ عبدالله بن بسام : أنه صلي عليه بعد صلاة العيد ، وقد حزن الجميع لوفاته ، وأسفوا عليه ، وفقدوا بوفاته عالما جليلا ، وأبا رحيما لأحبابه وعارفيه [علماء نجد ــ ١ : ١٤٤] ·

مؤلفاته :

الشيخ ابرهيم ضويان مؤلفات عدة في الفقه والتاريخ ، كما كان شاعرا ، الا أن شعره لم يدون ، ويبدو أنه مقل فيه ويقتصر على المناسبات · وقد أورد الشيخ محمد بن منار في منار السبيل مرثية ابن ضويان في شيخه عبد العزيز بن مانع· لكننا سنقتصر الحديث على الجانب التاريخي في مؤلفاته التي تنقسم الى ثلاثة أقسام : التاريخ ، التراجم ، الأنساب · خاصة وأن هذه المؤلفات لا تزال مخطوطة ، وان الأمل يفقدنا العثور على الكتاب الثالث ، حيث دب اليأس في النفوس من الحصول على نسخة منه ، فلقد علمت بأن كتابه في الأنساب قد أخذه رشدي ملحس بنية طباعته في حياة الملك عبد العزيز رحمه الله ، وفقد منذ ذلك الحين ، ولم يقدر له أن يرى النور بعد ، فقد قيل عن الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد بأنه في عام ١٣٥٨ هـ بعد وفاة الشيخ ابن ضويان ، بخمس سنوات · كان مسافرا للرياض لطلب

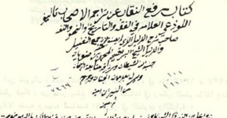

كتاب رفع النقاب عن تراجم الأصحاب تأليف
اللوذعي العلامة في الفقه والتاريخ والنحو واللغة

طرة كتابه : رفع النقاب عن تراجم الأصحاب

العلم وبصحبته شيخه محمد بن عبد العزيز بن رشيد مع مجموعة من بينهم عبدالله بن ابرهيم بن ضويان الذي كان معه مخطوطة كتاب والده في الأنساب ، وعندما سئل عن سبب أخذه اياه معه للرياض أفاد بأن الملك عبد العزيز قد طلبها ، وقد سلمها فعلا لمن أوصلها لجلالته ، وقد أشار الشيخ حمد الجاسر بأن رشدي ملحس أخذ هذه النسخة [العرب جـ١ م٥ ص ٨٩٣] .

ولقد كان من العادات في نجد أن العالم اذا توفي تبعث كتبه للرياض لوجود العلماء ، وطلاب العلم ، ومبعث هذا رغبتهم في تمام الفائدة ، وطلب المثوبة من الله أخذا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الميت اذا مات انقطع عمله الا من ثلاث : صدقه جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

ومؤلفات الشيخ ابن ضويان التي وصل الينا علمها هي :

١ ـ منار السبيل في شرح الدليل : يقع في جزأين طبع عام ١٩٧٨ هـ على نفقة الشيخ قاسم بن درويش فخرو ، وقد أوقفه لله على طلبة العلم ، وهو كتاب فقهي على مذهب الامام أحمد بن حنبل .

٢ ـ نسب اليه عمر عبد الجبار : حاشية على شرح الزاد ، وأشار الى أن هذه لا تزال مخطوطة ، وبخط المؤلف ، وقد أشار اليها الشيخ عبدالله البسام باجمال ، كما أشار أيضا الى انه أجاب على أسئلة عديدة بأجوبة محررة سديدة [علماء نجد ١ : ١٤٤] .

٣ ـ آثاره التاريخية وتتمثل في :

أ ـ رسالة في أنساب أهل نجد .

ب ـ رسالة مختصرة في التاريخ .

جـ ـ التراجم .. وهذه التراجم ذات شقين :

تراجم طبقات الحنابلة .. وقد صنف فيها كتابا هو : رفع النقاب عن تراجم الأصحاب لا يزال مخطوطا .. قال حمد الجاسر ، وعمر عبد الجبار بأن اسمه : « كشف النقاب في تراجم الأصحاب » ويبدو أنهما وافقا الشيخ عبد العزيز الرشيد عندما ترجم له في مقدمة منار السبيل ، وقد تحصلت على صورة من هذه المخطوطة التي جاء في طرتها الاسم كما أوردته « رفع النقاب عن تراجم الأصحاب » .

والشق الثاني : تراجم قصار لعلماء القصيم ·· ذكر هذا الشيخ عبدالله بن بسام وقال بأنه رأى كراسة تعلم عمه الشيخ سليمان الصالح البسام فيها بعض تراجم قصار لعلماء القصيم ، وأن عمه ذكر أنها من املاء الشيخ ابرهيم بن ضويان [علماء نجد ١ : ١٤٤] ·

ويبدو أن الشق الثاني بداية لعمل لم يستكمله المؤلف ·· أو أنها قد تكون مقتطفات من الجزء الثاني لكتابه : رفع النقاب ، الذي تفقده المكتبة العربية والمحلية ·· ولم نجد من يدل عليه ·

وسنعطي القارىء معلومات عن رسالته التاريخية ·· ورفع النقاب لوجودهما بين يدينا ·

أولا : تاريخه : ليس تاريخا بمفهومه الصحيح ، ولكنه في نظري محاولة تاريخية لم تستكمل ، وجهد لم يقدر له أن يتبلور ·· لا بل هو نتف تاريخية استقى أغلبها من تاريخ ابن بشر (١٢١٠ ـ ١٢٩٠ هـ) المسمى عنوانه المجد في تاريخ نجد ·

ورسالة ابن ضويان التاريخية هذه التي عثرت على نسخة منها قد كتبت حديثا عن نسخة خطية بخط المؤلف نفسه قبل أن يفقد بصره ·

وتقع هذه الكراسة في عشرين صفحة ، كتبت في ٤ صفر عام ١٣٧٨ هـ بخط الأستاذ الأديب منصور الرشيد ·

وقد ألحق ابن ضويان بها خمس صفحات في أنساب بعض الأسر بالرس بلده · وتعريفات في تسميات بعض المدن مثل عنيزة ، والرس ، والنباج ، يستقي ذلك من أمهات الكتب العربية ·

وقد ابتدأ ابن ضويان (١٢٧٥ ـ ١٣٥٣ هـ) مذكراته التاريخية في هذه الرسالة [وهذا ما أريد تسميتها به ، اذ هي لم تأخذ المفهوم التاريخي في نظري] بعام ٨٥٠ هـ ·

ومما يؤكد بأن هذه المذكرات نقاط(تاريخية ، وليست تاريخا بمفهومها العام ، أن الأحداث فيها غير متسلسلة ، وأن المعلومات التي دونت قد وضعت على هيئة معلومات مجمعة ، وعناصر تاريخية لا يربطها الأسلوب العلمي بمفهومه العام ، ذلك

أن كل حالة قد أعطيت رقما تسلسليا ، وسجل تحته الأحداث مقتضبة كمن هيأ ليعود اليها في كتابة مفصلة بعد استكمال الجوانب الناقصة ·

ولعل أوفى نقطة من عناصره البالغة « ١٢٠ » هي الأولى التي ذكر فيها أحداث عام ٨٥٠ هـ اذ يقول : « ١ ـ سنة ٨٥٠ هـ اشترى حسن بن طوق جد آل معمر العينية من آل يزيد الحنفيين الذين من ذريتهم آل دغيثر اليوم ، وكان مسكن حسن ملهم ، فانتقل منها اليها ، واستوطنها ، وعمرها وتداولها ذريته من بعده ·

وفيها قدم ربيعة بن مانع من بلدهم القديمة المسماة بالدرعية عند القطيف ، قدم فيها على ابن درع صاحب حجر والجزعة ، المعروفة قرب الرياض ، وكان من عشيرته ، فأعطاه ابن درع المليبيد ، وغصيبة قرب الدرعية فنزل ذلك ، وعمره

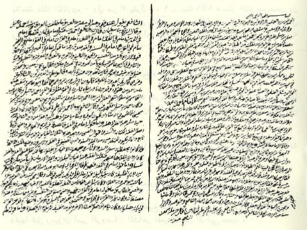

اللوحة الثانية من كتابه المخطوط رفع النقاب عن تراجم الأصحاب

وغرسه هو وبنوه . وبعده ابنه ابرهيم ، وكان لابرهيم أولاد منهم عبد الرحمن الذي استوطن بلد ضرما ، ومنهم عبدالله ومنهم سيف الذي من ذريته ابن يحيى من بلدة أبا الكباش ، ومنهم مرخان ، وولد لمرخان مقرن وربيعة ، أما مقرن فمن ذريته آل مقرن ، وخلف أولادا منهم محمد وعبدالله وعياف ، ومرخان .

أما محمد فخلف : سعود ومقرن .. أما سعود فخلف محمد وقساري وثنيان وفرحان أما محمد فخلف فيصل وسعود .. ومنهم عبد العزيز وولد له سعود بن عبد العزيز ، وابنه عبدالله ولد له تركي بن عبدالله وغيره ، وولد لتركي آل سعود اليوم » [ص ١] .

فالقارىء يرى أن بعض هذه المعلومات مستقاة من سوابق ابن بشر [عنوان المجد ٢ : ٣٨٧ السوابق] ، الا هذا الأخير لديه اقتضاب في سرده للمعلومات ، فابن بشر أوفى منه ، كما أن في أسلوبه هلهلة في التعبير وقصورا في التشكيل النحوي كما يلاحظ ذلك القارىء . وفي ص ٣ يقول : « ٩ ـ سنة ٩٨٦ هـ سار الشريف حسن بن أبي ثمن من مكة الى نجد بنحو خمسين ألف وحاصر معكال من بلد الرياض ، وقتل رجالا وأسر آخرين ، فحبسهم سنة ثم أطلقهم على أن يعطوه كل سنة ما يرضيه ثم سار » .

ـ « ١١ ـ سنة ٩٨٩ هـ فتح البديع والسلمية والخرج واليمامة وغيرها » .

ـ « ١٢ ـ سنة ١٠٠٠ من الهجرة تقريبا استالوا الروم على الاحساء ونواحيها ورتبوا الجند ، ومكث فيه الروم ثمانين سنة حتى استنقذه منهم ابن عريعر من بني خالد في الاحساء ، ونواحيها » .

وهذه المعلومات أوردها ابن بشر (١٢١٠ ـ ١٢٩٠ هـ) مع اختلاف في الصياغة اللفظية ، ضمن سوابقه ونقلا عن العصامي في تاريخه [عنوان المجد ٢ : ٣٩٢] .

كما ينقل من سوابقه وتاريخه معلومات مقتضبة كقوله :

ـ « ١٩ ـ سنة ١٠٧٩ هـ توفي الشيخ سليمان بن علي المشرفي ببلد العيينة ، وفيها قتل رميزان أمير الروضة ، الشاعر المعروف من آل أبي سعيد » .

ـ « ٢٧ ـ سنة ١١١٥ هـ ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلد العيينة » .

ـ « ٣٠ ـ سنة ١١٥٨ هـ انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من بلد العيينة الى الدرعية » ٠

ـ « ٣٤ ـ سنة ١١٧٩ هـ توفي محمد بن سعود رحمه الله تعالى » ٠

ـ « ٥٣ ـ سنة ١٢٠٦ هـ توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب » ٠

ـ « ٥٤ ـ سنة ١٢٠٨ هـ استولى سعود على الاحساء ، وانقرضت معه دولة آل حميد ، وفيها توفي سليمان بن عبد الوهاب أخو الشيخ محمد » ٠

ـ « ٦٨ ـ سنة ١٢٢٩ هـ توفي سعود بن عبد العزيز في جمادي ، وكسفت الشمس في رجب كسوفا قويا » ٠

ـ ويذكر في ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، أحداث السنوات على التوالي ١٢٣٠ هـ ، ١٢٣١ هـ ، ١٢٣٢ هـ ، فيها من أحداث ٠٠ وحملات ابرهيم باشا على نجد ٠٠

ـ وفي ٧٢ التي جعلها لأحداث عام ١٢٣٤ هـ يحدد شهر شعبان من هذه السنة لهدم الدرعية وقطع نخيلها ، وتفرق أهلها ٠

ومن هذه النماذج التي أعطت فكرة عن منهج ابن ضويان في عرض المعلومات٠٠ يتضح أن ما دونه في رسالته ما هو الا عناصر تاريخية يزيد استكمالها ، وقد استقى بعضها من المراجع التاريخية في عصره وأبرزها تاريخ ابن بشر « عنوان المجد في تاريخ نجد » ، وجمع الباقي من الأحداث المحيطة به ، ومما هو سائد في مجتمعه ، ولكن فقدان البصر حال دونه وما يريد ، فبقيت هذه المقتطفات التاريخية دون أن تستكمل، ودون أن تتبلور في مؤلف تاريخي ٠

ذلك أننا نرى في ص ١٥ بعد استعراضه باختصار كعادته أحداث عام ١٢٣٧ هـ، جاءت العبارة التالية : « آخر النقل من تاريخ ابن بشر » ٠

وبعدها استكمل في أرقامه التسلسلية من رقم « ٧٦ » استعراض الأحداث مستمرا بعام ١٢٤١ هـ ٠٠

وكانت عادته أن يجعل أحداث كل سنة في رقم تسلسلي ٠

ومن المعروف أن ابن بشر لم ينه تاريخه بأحداث عام ١٢٣٧ هـ كما أشار

ابن ضويان في توقفه عن النقل منه . بل سجل في كتابه عنوان المجد الأحداث حتى عام ١٢٦٧ هـ . حيث ختم الجزء الثاني بذلك .

أما ابن ضويان فقد ختم مدونته التاريخية هذه بالرقم التسلسلي « ١٢٠ » وتمثل أحداث عام ١٣١٩ هـ حيث ذكر ما وقع فيها باختصار شديد لا يروي ظمأ الباحث ، ولا تلهف من يريد الاستزادة فهو يقول : « وفي شوال سطا عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل في الرياض ، وقتل عجلان ، واستولى على البلدة وحصنها ثم صار ما صار .. الى الشنانة وقتل عبد العزيز بن رشيد والله أعلم » (ص ٢٠) .

ومع هذا فابن ضويان لم يختلف في أسلوبه وطريقته في سرد المعلومات بشكلها العام عن منهج من سقبه من مؤرخي نجد ، ولم يجدد في طريقة هذا السرد ، أو استقصاء المعلومات .

فالقارىء عندما يتتبع تاريخ ابن بشر عنوان المجد ، وتاريخ المنقور (١٠٦٧ ـ ١١٢٥ هـ) فانه لا يجد فارقا كبيرا في طريقة عرض المعلومات ، أو المنهج العام عما سلكه ابن ضويان ، الا أن ابن بشر لديه من المعلومات والمادة العلمية أكثر مما لدى ابن منقور ثم ابن ضويان .

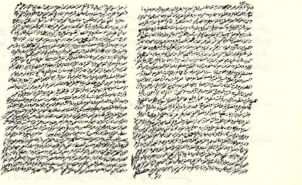

اللوحة ٧٤ من مخطوطة رفع النقاب عن تراجم الاصحاب وبها ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي آخر التراجم

ومع أن ابن بشر لم يهتم بالترتيب الزمني للأحداث ، اذ كثرت عنده السوابق فقد كان ابن ضويان يهدف الى تدارك هذه الناحية ، وبدأ مدونته التاريخية بتسلسل يمثل الأحداث ، وأعطى لها أرقاما متتالية ، ثم رتب الأحداث التاريخية حسب الترتيب الزمني ، فلم يقدم أحداث سنة على سنة ٠

ولكننا لا نجد لابن ضويان عذرا في اغفاله أحداثا عاصرها ، وهي السنوات الأخيرة من الدولة السعودية الثانية ، ثم بداية واتساع الدولة السعودية الثالثة على يد المغفور له الملك عبد العزيز ٠٠ ذلك أن وفاة ابن ضويان في عام ١٣٥٣ هـ بعد أن استتبت الدولة واستقر الوضع السياسي والاجتماعي في البلاد ، وبعد أن بدأ قائد مسيرتها رحمه الله يرسي دعائم النهضة التعليمية والعمرانية والاجتماعية ، بعد أن هدأت الأحداث السياسية ، واستتب الأمن ، ووحد عبد العزيز رحمه الله الجزيرة ، وقضى على الفتن ٠

ثانيا : التراجم وسماه : رفع النقاب عن تراجم الأصحاب ، وهو كتاب يتضمن تراجم لطبقة معينة من الفقهاء والعلماء هم الحنابلة ٠ وقد سار فيه المؤلف على طريقة السابقين في التحدث عن علماء كل طبقة ٠

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا وهو مكون من جزأين الا أنه لا يوجد حاليا منه الا الجزء الاول ٠٠ ولقد علمت بأن النسخة كاملة وبجزأيها موجودة لدى احدى الأسر الكريمة في عنيزة فحبذا لو أفرجوا عنها خدمة للعلم واتماما للفائدة ٠

يبتدىء الجزء الاول بترجمة الامام أحمد بن حنبل (١٦٤ ــ ٢٤١ هـ) والحنابلة الذين توفوا في حياته ، ثم يستمر ابن ضويان في ترجمة الحنابلة مرتين حسب تواريخ وفاتهم الاول فالأول ، وينتهي هذا الجزء بترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [في الورقة ٧٤/ب ، ٧٥/أ] ٠

تتوفر هذه النسخة بمكتبة جامعة الرياض المركزية ، وبدار الكتب المصرية حيث هي النسخة التي رجعت اليها وتحمل هذا الرقم ح/٧٣٦٩ ٠

تقع النسخة التي أطلعت عليها في ٧٥ ورقة ٠٠ كل ورقة من صفحتين من القطع المتوسط ، وكتبت بالخط الأسود الدقيق في كل صفحة ٢٧ سطرا ، ومعدل كلمات كل سطر (١٥) كلمة مرصوصة جدا ٠٠ حتى أن الكاتب يضع في السطر الواحد بيتين من الشعر على خلاف المألوف في الخط والطباعة ٠

ومقاس الصفحة ٢٠ × ٢٩ سم ۰

والعارفين للشيخ ابن ضويان يؤكدون أنه ترجم لعلماء الحنابلة حتى وقته هو، مما يؤكد وجود جزء آخر لم يظهر للقراء وطالبي المعرفة بعد ۰۰ ويبتدىء بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مباشرة حتى عصر المؤلف ۰

ونتوقع أن ابن ضويان أراد بمؤلفه هذا انصاف علماء نجد وكلهم حنابلة ، حيث أن ابن حميد (١٢٣٢ ـ ١٢٩٥ هـ) في السحب الوابلة علـى ضرائح الحنابلة [لا يزال مخطوطا وتوجد منه نسخ بجامعة الرياض ، ودار الكتب المصرية ، ومكتبة الحرم بمكة] ، قد هضمهم حقهم لشيء في نفسه ، ولم يترجم الا لثمانين عالما فقط من أصل ثمانمائة من الرجال و «٣٨» من النساء ۰

فجاء ابن ضويان ليضفي عليهم ما يستحقون ۰۰ ثم جاء بعده الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام ليترجم لـ « ٣٣٨ » عالما في كتابه علماء نجد خلال ستة قرون ۰

وقد أضفى الناسخ ـ على طرة كتاب ابن ضويان هذا ـ تعليقا بعد الدعاء للمؤلف بقوله : « تنبيه واعلم أن الذي ذكر الشيخ كالأنموذج لتراجمهم ، أو كالفهرس لمناقبهم ، لأنهم صنفت فيهم الكتب الكبار ، بل الواحد منهم صنف فيه مصنفات غزار ، ولكن في هذا الزمان المقصود ذكر أسماءهم ومصنفاتهم ، ومن أراد التوسع فليرجع الى الكبار كطبقات الخلال ، وأبي يعلي ، وأبي الحسن ، والأنصاري، وابن الجوزي ، والضواء ، وابن مفلح ، وابن رجب والمجمعي محمد بن عبد الباقي ، وابن عبد القوي ، وابن نعمة ، والطيمي له طبقتان ، ومحمد بن حميد العريمضي ، وابن نصرالله أحمد ، عدة مجلدات ، ويوسف بن عبد الهادي ، وكلها مفردة في الحنابلة ، وأما ما في كتب التاريخ والرجال ، فلا يحصى ، وكذا كتب الطبقات التي لغير الحنابلة كابن سهل » ۰ وقد علق عبدالله بن بسام على كلمة العريمضي بأنها نسبة الى خب العريمضي احدى قرى القصيم ، وكان كثير من عشيرة ابن حميد في هذه القرية [طرة رفع النقاب عن تراجم الأصحاب] ۰

ابن ضويان والدعوة السلفية :

أما ما قيل عن الشيخ ابرهيم بن ضويان وعدم تحمسه لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، فقد نقل الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام رأيا لتلميذ ابن ضويان محمد بن عبد العزيز الرشيد معللا به قلة تلاميذ شيخه ـ حيث لم ينسب لـه من التلاميذ الا محمد هذا وابن الشيخ بن ضويان عبدالله ـ قائلا :

« السبب في قلة تلاميذه والآخذين عنه هو أن الشيخ المترجم له ليس من المتحمسين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والناس ينفرون ممن لا يتحمس لها » .

ثم أردف الشيخ البسام قائلا : « على أنه ليس هذا قادما في اتجاهه وعقيدته ومحبته للشيخ محمد ودعوته ، وانما الناس منهم من يندفع الى ما يعتقد ومنهم من لا يكون عنده ذلك الاندفاع ، والا فان شرحه على الدليل غالبـه منقول من مختصر الشرح الكبير للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومصرح بذلك» [علماء نجد ١ : ١٤٣]. ولكننا عندما نرجع لكتاب ابن ضويان رفع النقاب عن تراجم الأصحاب نراه يثني على الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما تعرض لترجمته فهو يقول [في الورقة ٧٤/ب] : « العالم العلامة شيـخ الاسلام والمسلمين ، ومثير أعـلام الدين بالأدلـة القاطعة والبراهين » .

ثم يقول في موضع آخر بعد أن عدد تلاميذ الشيخ محمد وكتبه التي أثنى عليها: « وهو في العقيدة سلفي الاعتقاد أمر الصفات من غير تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ، وبالجملة فهو خيرة العلماء الأعلام ، كثير العبادة ، كثير اللهج بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، وكـان يفرق الصدقة بنفسه » [رفـع النقاب ورقة ٧٤/ب] . ثم ذكر نماذج من أدعيته التي يكررها .

وختم ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد الثناء العاطر عليه رحمه الله بقوله : « وهذا كالأنموذج في فضائل هذا الامام ، ولو ذهبنا نستقصي لبلغ مجلدا ، والذكي تكفيه الاشارة ، وراع الهوى لو تناطحت الجبل عنده لكذب » [رفع النقاب ورقة ٧٥/أ] .

ان من يثني على الامام محمد بن عبد الوهاب بمثل هـذا الوضع لا يمكن أن يكون مخالفا للدعوة ، أو غير متحمس لها ، ذلك أن الأثر الذي يتركه الكاتب ما هو

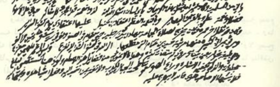

آخر كتابة المخطوط رفع النقاب الورقة ٧٥/أ وهي نهاية ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الا تعبير عن مكنونات نفسه ، ولم يكن في هذا الأثر ما يدل على عدم التحمس أو وجود عداء عقائدي بينهما ، بل على النقيض فان عبارات ابن ضويان تحمل عرفانا كبيرا ، واحتراما لصاحب هذه الدعوة ، وتقديرا لمكانته العلمية ، وتوضيحا لصفاته الحميدة وما تنطوي عليه نفسه الخيرة ..

ثم أن هناك شاهد آخر على صدق هذا التقدير من ابن ضويان فقد ترحم عليه في مدونته التاريخية ، واشاد بمكانته ، وارخ لمولده ووفاته ووفاة بعض أولاده .

ولعل ما نسب اليه من أنه غير متحمس لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب جاء من :

١ ـ عدم موالاته لآل سليم أشهر علماء القصيم في ذلك الوقت وهم أهل المشورة في مثل المناصب القضائية في القصيم ، مع أنه ليس ممن قرأ على الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم كما قال بذلك الشيخ عبدالله البسام وجعل ذلك سببا في عدم توليه القضاء [علماء نجد ١ : ١٤٢] .

٢ ـ ما ختم به ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قوله : « ولا تغتر بمن انتسب اليه ـ الضمير يعود للشيخ محمد ـ وفعل أشياء منكرة ونسبها اليه ، فلا ينسبها الا صاحب هوى فالله لا يبهرج عليه » [رفع النقاب ورقة ٧٥/أ] .

فمفهوم هذه أنه لا يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ولكنه يعني أناسا غيره من المتأخرين ، وقد يكون ابن ضويان قصد أحدا بعينه ممن عاصره في وقته ولم يصرح باسمه ، وقد انعكس خلافه معه على سمعته العامة ، فعبر عن ذلك بهذه الاشارة الموجزة ، وهذا ليس بغريب على العلماء وخلافاتهم في كل عصر وزمان.

وفي نظري أن الجزء الثاني من كتابه رفع النقاب لو كان بين أيدينا لالتمسنا منه ما يثير أسباب الخلاف ، وتصيدنا من بين أسطره ما ينم عن اسم أو أسماء أولئك الذين عناهم باشارته هذه .

وخلاصة القول أنني أبرىء الشيخ ابرهيم بن ضويان مما نسب اليه بعدم تحمسه لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لأن ما دونه في تاريخه ، وما سجله في ترجمته للشيخ محمد دليل قاطع على نفي هذه التهمة عنه .. ولا يصح انعكاس خلافه مع المتأخرين على رأيه في دعوة الشيخ.. اللهم الا اذا اتضح ما يناقض هذا الموجود بين أيدينا .. فذلك ما لا نستطيع الجزم به .

د. محمد الشويعر

المصادر والهوامش

١ ـ الأعلام للزركلي ، الطبعة الثانية ١٩٧٤ هـ ١٩٥٥ م ، مطبعة كوستاتوماس وشركاه .

٢ ـ تاريخ ابن منقور ـ تحقيق ونشر الدكتور عبد العزيز الخويطر ، الطبعة الاولى ، عام ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م ، مطابع مؤسسة الجزيرة ـ الرياض .

٣ ـ جامع الاصول في أحاديث الرسول ـ ابن الأثير الجزري . الطبعة الاولى ، سنة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م ، مطبعة السنة المحمدية بمصر ـ القاهرة .

٤ ـ رسالة في التالريخ ـ تاليف ابرهيم بن ضويان ـ مخطوطة .

٥ ـ رفع النقاب عن تراجم الأصحاب ـ تاليف ابرهيم بن ضويان ـ مخطوطة .

٦ ـ السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة تاليف محمد بن حميد ـ مخطوطة .

٧ ـ سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة ـ تاليف عمر عبد الجبار ـ الطبعة الثانية عام ١٣٨٥ هـ ـ مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .

٨ ـ مجلة العرب ، جزء ١٠ ، مجلد ٥ ، دورية تصدر بالرياض عن دار اليمامة .

٩ ـ مجلة العرب ، جزء ٥ ، ٦ منه ١٢ ، دورية تصدر بالرياض عن دار اليمامة .

١٠ ـ مجلة العرب جزء ١٠،٩ مسنة ١٢ ، دورية تصدر بالرياض عن دار اليمامة .

١١ ـ مشاهير علماء نجد وغيرهم ـ تاليف عبد الرحمن بن عبد اللطيف ـ الطبعة الثانية ، عام ١٣٩٤ هـ ، من منشورات دار اليمامة للطباعة بالرياض .

١٢ ـ علماء نجد في ستة قرون تاليف الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام ، الطبعة الأولى ، عام ١٣٩٨ هـ ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة .

١٣ ـ منار السبيل في شرح الدليل ، تاليف ابرهيم بن ضويان ، الطبعة الأولى ، عام ١٣٧٨ هـ .

١٤ ـ عنوان المجد في تاريخ نجد ـ عثمان بن بشر ـ حققه وعلق عليه بعض الأفاضل بامر من وزارة المعارف السعودية ـ مطبعة صادر بيروت ، عام ١٣٨٧ هـ .

١٥ ـ مجلة اليمامة ، العدد ٢٦٩ ، سنة ١٣٨٠ هـ ـ تصدر بالرياض عن مؤسسة اليمامة .